عرب مرسى مطروح

ذهب المستر اوريك بايتس الى مرسى مطروح وبحث في احوال سكانه وكتب مقالة في ذلك نُشرت في اعمال الجمعية الاسيوية الملكية فعرّبنا منها ما يأتي لما فيه عن الناس يسكنون على مقربة منا وقلما نعلم شيئاً من احوالهم . قال الكاتب :

مرسى مطروح وهو المسمى قديماً بريتونيوم على نحو ١٥٠ ميلاً من الاسكندرية قمت زرتهُ في اواخر سنة ١٩١٣ واوائل سنة ١٩١٤ وبحثت في اثاره واخلاق سكانه على قدر ما سمحت لي الفرصة

والسكان كلهم من العرب البدو وهم يدّعون انهم من اصل عربي صميم ولكنني ارى انهُ يخالطهم شيءٌ من دم البربر ولذلك لا يمكننا الجزم اي عاداتهم عربي وايها مقتبس من عادات سكان البلاد الاصليين لشدة اختلاطهم بالسكان الذين حولهم

وكلهم من اولاد علي ويقسمون الآن الى اثنتين وعشرين قبيلة وهي العبيدي والافراد وعراوه والعشيبات والمفاورة والعوامة والجماعات والقنيشة والقطعان والجريضات والصراحنة والمنفه والسناجرة والكيلات والصريحات والسملوس والحوته والخاصة واولاد منصور والنجارمه والموالك وعميره . هذا هو التقسيم الذي اخبرني به الدكتور ميخائيل افندي ايوب المقيم هناك وهو يختلف عن اسماء اشكال الوسم الذي توسم به جمالهم على ما جمعهُ المستر كينج في مطروح فانهُ جمع سبعة عشر نوعاً من انواع الوسم عشرة تتفق اسماؤها مع اسماء القبائل المذكورة ههنا وواحد مع اسماء القبائل التي ذكرها المسيو باشو الرحالة الفرنسوي الذي جال في تلك البلاد في اوائل القرن الماضي

والوسم اما ان يكون على رأس الجمل فقط واما ان يكون على فخذهِ واما ان يكون على رأسهِ وفخذهِ معاً كما ترى في الاشكال المقابلة

وكثيراً ما تحفر هذه السمات على الصخور في جوار مطروح ولاسيما على الحجارة التي تلقى في دائرة حول القبور دلالة على انها سمات القبائل النازلة هناك

الولادة والصبوة

اذا ولد طفل أولم ابوهُ لذويهِ وذبح لهم خروفاً ويشترك المدعوون الى الوليمة في الرقص واطلاق البنادق والطبنجات . وتقطع سرّة الطفل ويربط معها قليل من وبر جمل او شعر

ثور فيصير ذلك الجمل او الثور ملكاً للطفل . ومتى صار عمر الطفل اربعين يوماً يحلق شعر رأسه ويلف بخرقة تعلق في عنق بقرة او شاة او نحو ذلك من الحيوانات فيصير ذلك الحيوان ملكاً للطفل . وهم يقولون ان هذا الشعر الذي يحلق اولاً هو شعر الملائكة

واول سن تقع من فم الولد يرميها في الهواء ويقول — « بدلت ضرسي فيك يا نجمة » والولد من اهل الجزائر يرمي سنهُ الاولى في الشمس ويقول يا شمس اعطني سناً جديدة (١)

النساء والزواج

نساء اولاد علي متمتعات بجانب كبير من الحرية وتدل الدلائل على انهن لا يسئن استعمالها واذا راقت فتاة في عيني شاب جاء امرأة عجوزاً تسمى خنينة وجعلها واسطة بينهُ وبينها لتخطبها لهُ . وينادي الفتاة زمن الخطبة بياسعادة السلطانة ويحمل كل ما تأمرهُ بهِ . وهم يحتفلون بالاعراس احتفالاً كبيراً حسب مقدرتهم ويذبحون الذبائح ويطلقون البنادق ويرقصون ويطربون

الزراعة

اراضي مطروح على جانب من الخصب ولكن الماء قليل هناك والمطر لا يقع دائماً عند الحاجة اليهِ وقد احتفر الرومان اباراً وصهاريج كثيرة ولكن السكان الحاليين لا يستعملونها وغاية ما يفعلون انهم يحرثون الارض حرثاً سطحياً ويلقون البذار وينتظرون الغيث وهم يقولون « يا رب اعطنا واطعمنا يا رزاق من غير منة » واذا اشتد القيظ استمطروا على هذه الصورة وذلك انهم يجتمعون ويقدم كل فريق منهم قطعة من الثياب ويأتون بعمود يلبسونهُ تلك الثياب حتى يصير في شكل امرأة يسمونها زرانة او ذرافة ويطوفون بها وهم ينادون يا زرافه هاتي الرقعه . ومتى اتموا طوافهم نزعوا الثياب عن العمود ورددوها الى اصحابها

وكثيراً ما ينصبون في حقولهم عصاة كبيرة يلبسونها خرقاً حتى تصير في شكل الرجل زجراً للطيور ويسمونها خيالاً او بوًّا ولكن اشكال خيلتهم لا تشبه الاشكال التي ينصبها المصريون في حقولهم

المرض والعلاج

الطب والسحر سيان عندهم يستعملان معاً ولا يزالون يعتقدون ان الانسان يمرض لانهُ سُحِر او اصيب بالعين . والاعتقاد باصابة العين راسخ فيهم ويقولون ان رجلاً منهم في

(١) وفي بلاد الشام يرمي الولد سنهُ الاولى في الشمس ويقول يا شمس خذي سن الحمار واعطني سن الغزال

مطروح ينظر الى ارتب جارية فتقع ميتة للحال وفعل العين كفعل الرصاص واذا اقام احد الادلة على ان رجلاً اصابهُ بالعين فاضرَّ بهِ غرَّم صاحب العين

وعندهم ان المرض يحدث بالسحر والاعجبة فاذا اراد احد ان يمرض غيرهُ جاء فقيهاً فكتب لهُ حجاباً فيأخذهُ ويخفيهِ في خيمة من يقصد ان يمرضهُ او في عدة فرسهِ

وتشفى الامراض بالسحر كما تحدث بالسحر واشد الادوية فعلاً عندهم اكل يدن الحيَّة غير رأسها وذنبها وانفع لحمها دهنها فانهم يستعملونهُ دهوناً للجروح . ولكنهم يستعملون بعض النباتات ايضاً فيتداوون بالثوم في لسع الحشرات وبعصير البصل لمع التهاب الجروح وبالصعتر في الحب الازرقي وبالشيح في دود الامعاء وبالجعدة في الزكام

القوانين والاحكام

قوانينهم عرفيَّة كلها ينفذها شيوخهم واذا تعذَّر عليهم ذلك لجأوا الى شيخ جامع سيدي عوَّام . واذا وقعت بينهم خصومات تستدعي القتال رفعوا امرهم الآن الى رجال خفر السواحل فيفصلون بينهم من غير ان يلجأوا الى المحاكم المصرية

اذا سُرق لاحد منهم شيء ذهب الى فقيه بارع بضرب الحصى فيقسم حصاهُ الى اربعة اقسام وهي حر وانكيس واشهب ودبَّار وجبَّار . وحر وانكيس قسم واحد ثم يتلو بعض التعازيم فيعلم على زعمهم هل السارق رجل او امرأة وما هو شكلهُ . ويُقبض على السارق ويؤتى بهِ الى امام مجلس من الشيوخ يحكم عليهِ بان يرد الى صاحب السرقة اربعة اضعاف ما سرقهُ منهُ . واذا تعذَّر عليهِ الرد وجب ذلك على قبيلتهِ

ويغرَّم من آذى غيرهُ بغرامة مالية يحكم بها احد الشيوخ بعد ان يحقق نوع الاذية ومقدارها . وللجرح غرامة وللرض غرامة اخرى وتكون الغرامة من الغنم والبقر والجمال وقد تكون نقوداً من عشرة جنيهات الى عشرين جنيهاً . ويدفع الجاني الغرامة من غير تذمر مع علمهِ ان خصمهُ قد يكون رشا الشيخ . ومتى دفعت الغرامة اولم وليمة اكل منها الجاني والمجني عليهِ وزال ما بينهما من الخصام . واذا تعذر عليهم عقاب احد تركوهُ وتناسوا ذنبهُ

والسب والشتم جريمة عندهم كالضرب والجرح ويسب احدهم الآخر بقولهِ لهُ تُدفَن امك او يُدفَن ابوك او بقولهِ لهُ يا حمار يا كلب . واذا كان المسبوب شيخاً جليلاً اضطرَّ السابّ ان يترضاهُ بخروف يذبحهُ لهُ

واذا قتل رجلٌ آخر لزمتهُ الدية التي يحكم بها الشيخ فاذا كان القتل عمداً فالدية ٤٠٠ جنيه او ما يساويها من القطعان واذا كان عَرَضًا فالدية ٣٠٠ جنيه . واذا كان القاتل فقيراً وقبيلتهُ لا تستطيع دفع الدية عنهُ قُتِل في المقتول هو او احد اقاربهِ . وقد تقع المداوات بسبب ذلك بين القبائل فيصلح الشيوخ بينهم

العُوَذ والرُّقَى

حدث قبلما زرنا مطروح بشهرين ان شيخًا من اكبر الشيوخ اراد ان يحفر بئراً وكان هناك رجل جزائري فقال انهُ يرشدهُ الى مكان يحفر فيهِ البئر ثم اخذ ورقةً وكتب عليها بعض الكلمات ورماها في الهواء وكانت الريح شديدة فعبثت بالورقة والقتها في نجم من النبات فعلقت بهِ فقال الجزائري للشيخ احفر هنا فتجد ماء فحفر واذا هو بئر من آبار الروم القديمة

ويكتب الفقهاء رقًى لاجل الحب يضعون فيها اسم العاشق والمعشوق ويضعونها في حجاب يحملهُ احدهما او يوضع في بيتهِ . وقد وجدنا رقية كُتبت لامرأة لكي يحبها زوجها بعد ان تغيَّر قلبهُ عليها وعلى احد وجهيها الكتابة التالية

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم . الله معك ولا اله غيرهُ قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوًا احد بسم الله ما شاء الله لا اله الاَّ الله والسؤال لله بسم الله ما شاء الله مَن كان حاكم (كذا) فمن الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الاَّ بالله العلي العظيم والامر لله »

وعلى ذلك خطوط متقاطعة كرقعة الشطرنج في بيوتها هذه الحروف ك ه ك ع و مصفوفة على طرق مختلفة وعلى الوجه الآخر شكل متوازي الاضلاع منحرف يقطعهُ خطان منحرفان

الاحلام وايام السعد

اولاد علي يعتقدون اعتقاداً راسخًا بصدق الاحلام فاذا حلم احد منهم بولد اعتقد انهُ سينال شيئًا واذا حلم برجل صالح اعتقد ان شهرهُ سيكون شهر نعيم او برجل طالح فشهر بؤس واذا حلم بامرأة حسناء فسنتهُ كلها ستكون سنة رخاء واذا حلم بشنيعة فسنة ضيق

وعندهم ان الاربعاء يوم نحس وكذلك يوم الجمعة الاخير من الشهر والتاسع منهُ والسادس عشر والتاسع عشر واما اليوم الثاني والثامن والرابع عشر والثامن عشر والعشرون فايام سعد

والاعتقاد بوجود الجن والغيلان والعفاريت عامٌ عندهم و يقولون ان بعض العفاريت شرير و بعضها صالح وكلها ترصُد في الزماد وعندهم نوع من الفقهاء يسمونهم الفقهاء الروحانية تتسلط على العفاريت بالرقى والعوذ . وعندهم ان كل مجنون يسكنهُ جان فيكرهون ان يقولوا لاحد يا مجنون

و يعتقدون ان عدد النجوم كعدد الاحياء على الارض وكلما وقع نجم منها (نيزك) مات انسان او حيوان

الحداد

تمتطق المرأة عادة بمنطقة حمراء عريضة فاذا مات لها قريب ابدلتها بمنطقة بيضاء وقصت شعرها وكيّست حلاها الفضية بكيس من جلد . ومدة الحداد سنة

سيدي عوام

هو ولي مشهور في مطروح والبلاد المجاورة لهُ وباسمهِ تسمت قبيلة العوّام . وقبرهُ امام المرسى وقد اقامت وزارة الاوقاف المصرية جامعاً صغيراً عليهِ منذ عهد غير بعيد . وقصة هذا الولي على ما سمعها احد رجالي انهُ كان صياداً في مرسى مطروح ولهُ فلوكة صغيرة وكان التوفيق خادماً لهُ فغار منهُ رجل يهودي وبنى فلوكة مثل فلوكتهِ ليصطاد بها وخرجا للصيد معاً ذات يوم فامتلأت فلوكة سيدي عوام من السمك واما اليهودي فلم يصطد شيئاً فاغتاظ من سيدي عوام وقتلهُ . وعرف العرب بما حدث فبكوا سيدي عواماً ودفنوهُ حيث بني الجامع الآن وقتلوا اليهودي في ثأرهِ ودفنوهُ في جزيرة شرقي المرسى وتسمّى هذه الجزيرة الى الآن جزيرة اليهودي

لكنني سمعت من جهة اخرى ان سيدي عواماً هذا جاء مطروح في قارب من المغرب وانهُ كان ممدوداً وليًّا في حياتهِ ومات موتًا . وان جزيرة اليهودي سميت بهذا الاسم لانهُ كان فيها يهوديان صائغان

وللناس في مطروح اعتقاد كبير بسيدي عوام فيحلفون بهِ كما يحلفون بالله ويقولون ان من يحلف بهِ كذباً نزلت بهِ النوازل وتزورهُ النساء العواقر و يقدمن لهُ النذور من الارز والشعير و يذبحن الغنم و يولمن الولائم للفقراء لكي ينعم عليهن بالاولاد . ومولدهُ أكبر عيد وطني سيء تلك الجهات وهو في اواسط شهر مايو وقت بداءة الحصاد فيتقاطر اليهِ الناس من كل الجهات ويكثر في اليوم الاول منهُ سباق الخيل واطلاق البنادق والرقص والزغردة وذبح الذبائح